الأرواح والأشباح

للأستاذ حسين مهدى الغنام

عرف البحث فى الروح والاتصال بها فى العالم الآخر من قديم الأزل ، وقد شغل أعرق الشعوب مدنية فى كل ما مر من العصور والأجيال ، واستوى فى ذلك الوثنيون وأصحاب الأديان .

فحضارة الوثنيين وتراثهم وآثارهم الباقية صرفت أكبر اهتمامها فى البحث عن الروح وما بعد الموت .

كما ذكرت الأديان جميعاً أن وجود الأرواح بعد الموت حقيقة لا مراء فيها .

وقد ذكرت التوارة قصة روح صالح اسرائيلى متجسدة رأتها امرأة تهبط من السماء ثم تصعد إليها .

أما القدامى فقد كانت أساليبهم فى التعبير عن وجود الروح أو الاتصال بها ، أساليب بدائية ساذجة ، مما حدا بكثير من المفكرين أن ينسبوه إلى الشعوذة وينكروه .

ولقد اهتم العلم الحديث بالروح وتحضيره والاتصال به بعد الموت ، حتى اتخذ صفة (العلم الحديث) ، وأصبح له أنصار من كبار العلماء والمفكرين .

وبديهى أن يكون الشرقيون أكثر الشعوب اهتماماً بالروح فالشرق مهد الأديان ومهبط الأنبياء ومسرى الملائكة .

وفى مصر جماعات تهتم الآن بهذا (العلم) الحديث ، وفى هذه الجماعات علماء من كبار رجال الدين مثل الفيلسوف الكبير المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى .

ومن هؤلاء العلماء رجل متحمس لهذا العلم كل التحمس ، مؤمن به إيماناً عظيماً ، هو الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير .

وقد كذبه كثيرون من المتشككين ، وانبروا يتحدونه ، وهو يصمد لهم ويقبل تحديهم .

وفى الواقع أن هذا العلم يثير الحيرة .

ولو كان الأمر يقتصر على الشرقيين لقلنا إنها شعوب روحية خيالية ، يجد هذا العلم بينها مجالا طبيعياً ، ولكن العجب والحيرة يأتيان من ناحية الغربيين ، وهم قوم ماديون يتشككون فى كل شىء ، ولا يؤمنون إلا بالمادة وحدها ...

كان اهتمام الغربيين فى الماضى بالبحث فى الروح يكاد يكون محصوراً فى طبقة معينة ، وكان بحثهم فيها يتخذ صورة الاختراع والخيال ، أو ينظرون إليها نظرتنا إلى ما نسميه (المفاريت) !

وكان معظم هذه الفئة أدباء يجنحون إلى الخيال فى كتاباتهم وكان أغلبها يتخذ صبغة القصة ، ومن هذا النوع عاصفة شيكسبير ، وبعض قصص تشارلز ديكنز ، وإدجار آلن بو ، وأسكار وايلد ، حتى جاء السير آرثر كونان دويل فجعل من هذا اللون من الكتابة فنا ، أضفى عليه رداء جديداً ...

ثم ازداد اهتمام الغربيين به فى السنوات الأخيرة ، فاتخذ منه العلماء علما ، حتى تقرر تدريسه فى بعض الجامعات ، واتخذ منه الكتاب والباحثون فناً ...

إلا أن العجيب حقاً أن يكون من هؤلاء الأخيرين صحافيون معروفون يعالجون مواضيعه بأدلة وبراهين لا تترك مجالا للشك فى صدق وقوعه ...

ومن هؤلاء الصحافيين الكاتب الانجليزى الكبير هانن سوافر ، ولزلى وود ، وا . ل . لويد ، وموريس باربانل ، وتريفور آلن ، وغيرهم كثيرون .

كما أن للورد هاليفكس كتاباً عن الأشباح نشره حديثاً ولم نطلع عليه ، ولكنا قرأنا عنه وطالعنا قصة منه منشورة فى إحدى المجلات الانجليزية ...

لو كان هؤلاء الصحافيون أدباء لقلنا إن ما يكتبونه خيال إدباء ، ولكنهم صحافيون لا يؤمنون إلا بالملموس الذى يرونه بأنفسهم ، ولا يجرون وراء خيال الأدباء .

ومن هذه المقالات التى كتبها حديثاً بعض هؤلاء الصحافيين عن وجود الأرواح وتحضيرها ، جعلنا مادة هذا الحديث ، لأنها تأتى من أوائل الماديين فى أوربا ...

***

إن المطلع على الآداب الغربية يطالع عشرات من القصص التى تدور حول وجود الأرواح والأشباح فى كثير من الأماكن المهجورة والأثرية .

وقد ذكر لزلى وود أن بعض الأشباح سكنت فى (الاستوديوات ودور السينما) ، بل أن بعضها ظهر فى شريط سينمائى ...

وذكر شاهد عيان فى استكهولم ، عاصمة السويد ، قصصاً عن أبرشية يظهر فيها شبح سيدة عجوز فى ملابس خضراء تسير بين الأبواب المغلقة ، وثلاث سيدات فى ملابس من الطراز القديم يجلسن على كنبة يحكن بعض الثياب ، وإذا جلست على مقعد معين من الصخر هناك دفعت إلى الوراء . وقد شهد بكل هذه الأقاصيص خمسة من القسس .

أما تريفور آلن ، المؤلف والصحافى المشهور ، فقد بدأ كلامه بقوله إن الأشباح التى يحبها هى الأشباح التى يستطيع التحدث إليها ، وقد وقع له ذلك الاتصال بها فعلا .

ثم تحدث عما سمعه من القصص التى رواها له علماء ومهندسون وأثريون لا يكذبون أو يخترعون ، فقال : ولنأخذ تل العمارنة ، مدينة الفرعون ايخناتون المصرى ، فقد قابلت منذ بضع سنوات أثرياً شاباً ، هو رالف ليفرز ، وكان ينقب عن الآثار القديمة هناك فى بعثة جمعية التنقيب المصرية . ولم يكن هذا المهندس المادى يعتقد فيما يسمع عن لعنة توت عنخ أمون . ولكنه ذكر لى أشياء غريبة كان يسمعها فى الليل بين تلك الآثار ، ولم يستطع لها تعليلاء ومنها موسيقا على آلات موسيقية من العهد الفرعونى ، توقعها أشباح غريبة فى زى عصر ايخناتون فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

ولا يمكن أن نشك فى أقوال رجل مثل السير آرثر إيفانز ، فقد قابلته عند ما كان ينقب فى قصر مينون ، فى كنوسوس بجزيره كريت ، فقد ذكر لى أنه سمع ذات ليلة أصواتاً غريبة ، فترك فراشه ونزل إلى انقاض القصر فرأى كثيرين من رواد البلاط ينزلون السلالم وهم يحملون المشاعل ويتكلمون بلسان مينون الذى عفى عليه الزمان ، وقد راقبهم نصف ساعة .

ولما كان جورج جيسنج ينقب عن آثار كالابريا القديمة ، مرض بالحمى ورأى جنوداً من عهد الامبراطورية الرومانية يمرون أمامه ، وقد وصفهم وصفاً دقيقاً جداً .

ولنتحدث عن دير العذراء القديم فى هيرلى على نهر التيمس الذى أنشأه عام ١٠٨٦ جيوفرى دى ماندفل الذى اشترك فى معركة هيستنجس . فقد فرجنى الكولونيل ريفرزمور على هذ المكان ، ثم ذكر لى عرضاً فى أثناء حديثه أن شبح زوجة جيوفرى الثانية — لسيلينا — وشبح وايم روفرس رهو مدرع بعتاده الحربى ويمتطى جواداً ، سكنا ابهاءه ... وقد وجدت جماجم رهبان فى هذا المكان أثناء التنقيب ، بقامات ضخمة ، وأقدام صغيرة .

وكان لى صديق طبيب قضى أياماً هناك ، فقال إنه رأى فى أحلامه راهباً فى مسوح أسود يحادثه ، فى حجرة من حجرات جناح النوم ، وقد أشار الراهب إلى المدفأة الحديثة وقال : أزلها من هنا ! ثم رأى الطبيب مدفأة قديمة مستديرة جميلة الشكل تحت دعامة كبيرة من البلوط ، خلف المدفأة الحديثة ... ولما أخبر الكولونيل ريفرزمور بهذه الحكاية أزال المدفأة الحديثة فوجد القديمة مكانها ، كما وصفها الطبيب تماماً !

وكانت هناك ضيفة أخرى ، وهى سيدة تهتم بالكتابة الآلية ، فتلقت ذات يوم رسالة عن « بئر فارغة » وفيها أشارات أعانتها على رسم خريطة لهذه البئر ، وأخبرت أنها تحتوى على مجوهرات وكنوز ثمينة ألقاها فيها أخ ميت . ثم تلقت رسالة أخرى تقول : ابحثى عن خط الصدأ ..

وأخبر الكولونيل كذلك بهذه الحكاية الطريفة ، فتشكك فيها بادىء الأمر ، لأنه لم يكن يظن أن بئراً توجد فى ذلك المكان ، ولكنه أخذ فى الحفر ، فضرب خيطاً صدئاً تحت الطبقة الأولى ، ثم البئر بعد ذلك ... وتابع الحفر ، فاكتشف عظاماً وملابس من العصور الوسطى ، وأوانى فخارية ، ثم تابعوا الحفر أقداماً عديدة — رأيتها بنفسى — ولكنها لم تكن بالقدر الكافى ليكتشفوا الكنوز تحتها ...

ولما كنت أعيش فى هامپتون — على نهر التيمس — كان منزلى بجوار قصر الروائية المعروفة وتفرد جراهام ، التى صارت فيما بعد مسز تيودور كورى ؛ وكان قصرها هذا ، المسمى سانت البانز ، والواقع على النهر ، مملوكا من قبل لابن السيدة نل جوين ، دوق سانت البانز ... ففى الليلة الأولى التى نزل والداها ذلك القصر ، كانا يعبران المرجة التى أضاءها القمر ، وفجأة سأل الرجل زوجته : ألا ترين شيئاً غريباً على شجرة الجنوفيا ؟

فأجابته زوجته متعجبة : ماذا ... نعم ... إن هناك رجلا متدلياً منها !

ولما أسرعا فى اتجاه الشجرة اختفى ما رأيا ...

وبعد أسبوع ، كان والد الروائية فى حفلة رقص بمنزل الكولونيل هارفيلد ، فسأله أحد الأهلين : هل أنت مستر جراهام الذى اشترى قصر سانت الباتز ، ذلك البيت القديم الجميل ، الذى شنق الرجل نفسه على شجرة المجنوليا فيه ؟ فاستفسر الرجل فزعاً ...

وأخبرتنى الروائية أنها علمت أن عابر سبيل وقع فى ضائقة مالية ، فشنق نفسه على تلك الشجرة ، ويقول الناس أن شبحه يقطن الحديقة .

وذات فجر باكر ، استيقظت مسز جراهام على أصوات غريبة ، ورأت ثلاثة آدميين يتزاحمون على سطح الشرفة ، ويتفرسون فى نافذتها . كانوا وجلين مضطربين ، يعينون امرأة تبدو ميتة ، رأسها مدلى ، وملابسها وشعرها مبتلة بالماء ، فقفزت من فراشها واتجهت إلى النافذة وهى تصيح : ما هذا ؟ ما خطبكم ؟

ولكنهم اختفوا ...

ولما طلع النهار علمت مسز جراهام أن رجلين وسيدة كانوا فى حفلة بجزيرة تاج القريبة منهم ، وقد عادوا إلى سيارتهم بعد انتهاء الحفل ، ولكن السيارة اختلت من قائدها وسقطت فى النهر . وكان أحد الرجلين ، وهو توبى هام ، سبّاق بروكلاند الشهير فى السيارات ، يبذل غاية ما فى وسعه لينقذ زوجة صديقه التى غرقت .

ولما رأت مسز جراهام صورته منشورة فى إحدى الجرائد عرفت فيها أحد الرجلين اللذين رأتهما فى رؤياها . فما القول فى هذا ؟ وهذه القصة :

ذهبت خادمة إلى مسز جراهام ذات مرة تقول أنها قابلت سيدة جميلة على السلم ، مرتدية ثوب سهرة مفتوح الصدر ، وتحيط بها أنوار أيدت ما عليها من حلى . ولها نظرات ساحرة حلوة .

وسألتها مسز جراهام إذا كانت خافت تلك السيدة ، فقالت الخادمة : كلا . . . إنها كانت جميلة جداً . ولقد أسفت عندما اختفت بسرعة .

واستزادت السيدة خادمتها وصفاً لتلك السيدة الجميلة ، فرأت أن أوصافها تنطبق على السيدة نل جوين — صاحبة القصر الأولى — وعندئذ أسرعت إلى صندوق قديم وأخرجت منه صورة زيتية ، فتعرفت الخادمة فى الحال على صاحبة الصورة وصاحت : رباه ... أنها بعينها السيدة الجميلة التى رأيت شبحها ، إنها هى بذاتها !

وكان آل جراهام على صلة وثيقة بكنيسة القرية وراعيها . وذات عشية دعوا القسيس لتناول الشاى عندهم ، فلما توجه إلى قصرهم كان باذى الخوف والجزع يلهث من شدة الاضطراب ، وأخبرهم أنه وهو فى طريقه إليهم ، عندما مر بوصية الكنيسة ، سمع ضوضاء وأصواتاً غريبة كأنها أصوات جموع من الخلق تناديه من القبور ليلحق بهم ، فأفزعته تلك الأصوات حتى أنه أطلق لساقيه العنان .

فقالت له الآنسة جراهام : إنها أوهام واضطراب أعصاب ثم قدمت له كأساً من الوسكى القوى مع ماء الصودا .

وكان هذا القسيس شاباً قوياً ، صحيحاً بالغ الصحة ، ولكنه توفى فجأة بعد أسابيع قليلة .

وأما قصور هامبتون ، فإن أروقته مسكونة بأشباح يمكن أن نسميها نجوم الأشباح !

فمثلا هناك شبح كاترين هاوارد التى فرت من حجرتها لتشاهد هنرى قبل أن يذهب للاعدام فى البرج ، وهى تصرخ فى يأس بين ممرات القصر فتردد أصداء صياحها .

واللادى جين سيمور ، فى ملابسها البيضاء ، تصعد السلالم وتدخل مخادع القصر القديمة ، وهى تحمل شمعة موقدة .

وإن شبحى الفضل الذى أعتز به — لأسباب شخصية — هو شبح السيدة ذات الرداء الرمادى ، وهى السيدة سيبل بن ، مرضعة الأمير إدوارد ، بعد موت جين ... وكانت تلك السيدة تعيش فى المخادع التى يقطنها الآن اللورد واللادى بيردوود .

وقد دفنت فى كنيسة هامبتون عام ١٥٦٢ تحت جدث من المرمر ، عليه تمثال فى حجمها الطبيعى . ويبدو أنها احتفظت

يهدوئها مئات الأعوام حتى أقلقت عظامها فى جدثها ، عندما دمر عام ١٨٢٩

فلن تحب سيدة لنفسها أن تعامل مثل هذه المعاملة الخالية من الذوق ، ولو كان عمرها ثلاثمائة عام .

ولهذا بدأ شبحها يظهر فى حجراتها القديمة ، حيث يسمع فتيات آل پونسونبي وغيرهن — من خلف الجدران — صوت سيدة كأنها تدير آلة غزل قديمة .

وقد رأى جندى (ديدبان) ، ذات ليلة شبح امرأة فى (پرنس) رمادى ذى رأس طويل .

ولولا خشيتى أن تحسب أنى أطيل فى القصة ، فإنى أضيف إليها باختصار أن مكتب العمل — لأسباب عرضية — هدم هذه الحائط ووجد حجرة مختفية فيها آلة غزل قديمة ، ولوازم نسوية أخرى . وكان (خشب الأرضية) متآكلا بفعل أقدام من سارت عليه ؟

وقد ذكر أرنست لو ، مؤرخ قصور هامپتون ، شبح السيدة پن ووصفه بأنه : أحسن الأشباح التاريخية الحقة .

وإليك مزيداً من هذا ..

فقد روت اللادى مود — وهى ساكنة حديثة فى ذلك القصر — للآنسة جراهام أن ضيفة من ضيوفها كانت تزورها ، فجلست على منضدة الملابس بحجرة نومها ، فدخلت عليها سيدة طويلة ، نحيفة البدن ، فى ثياب رمادية . وقد ظنت الضيفة أنها رئيسة الخدم ، فقالت لها : هل تتفضلين بإيقاد النور ؟ .

وكان زر الضوء بجانب الباب .

ولكن السيدة لم تجب ، ثم انسلت خارجة فى هدوء ..

وقالت السيدة مود إنه لم يكن هناك سيدة بهذا الوصف فى ذلك الوقت ، ولكنه ينطبق كل الانطباق على السيدة پن .

وقد رأى كثيرون هذا الشبح مراراً ..

ومن هذا القبيل ... إن الفنان أريك فريزر يعيش فى بقعة من ذلك القصر ، بقرية هامپتون . ولعله يعيش فى نفس المكان الذى مانت به السيدة پن .

وقد خبرتنى السيدة فريزر أن ابنتها الصغيرة ، ولم تكن سنها تزيد على عامين أو ثلاثة أعوام ، ولم تعرف شيئاً مطلقاً عن هذه الأقاصيص ، قالت لأمها عرضاً ذات يوم : ماما ... لقد رأيت سيدة جميلة فى ملابس رمادية . دخلت حجرتى فى الليلة الماضية ، ولم اهتم بدخولها ...

وفى مرات متكررة بعد ذلك ، قالت لها الطفلة . لقد رأيت السيدة الرمادية مرة أخرى .

وهناك حكايات وأقاصيص أخرى عديدة ، تقشعر من ذكرها الأبدان . ولكن القصص التى رويتها هى التى أستطيع الاعتماد عليها لوثوق من مصادرها ، ذكرتها لمن يهتمون بالأرواح والأشباح .

(المقالة بقية) حسين مرهرى الفنام

محمود الخفيف

مؤلف أحمد عرابى ، وإبراهام لنكولن

يقدم

تولستوى

قمة من القمم الشوامخ فى أدب هذه الدنيا قديمه وحديثه

اقرأ فى تفصيل رفيع : حياته وفلسفته فى الدين والاجتماع والسياسة

ثم اقرأ : خلاصات وافية ونقدا مفصلا لقصصه الكبرى والصغرى وفى مقدمتها : « الحرب والسلام » و « أنا كارينينا » و « البعث »

واقرأ : كيف كان شهيد الإنسانية غاندى تلميذاً « لتولستوى » ومنفذاً لمبادئه ؟

أخرجته أخيرا فنيا مطبعة الرسالة

يطلب من دار الرسالة وثمنه ٤٠ قرشاً عدا البريد